خليل مردم بك

وكتابه في الشاعر الفرزدق

لأستاذ جليل

فخر الفرزدق

فخرنا فصدّقنا على الناس كلهم وشر مساعي الناس والفخر باطله

« وشعر الفرزدق في هذا الباب من حر الشعر وخالصه ، ومن أحسن ما قال ؛ يفحل ويجزل ، ويقوى ويشتد ، ويطول نفسه ويتسع مداه ، ويحسن التصرف ويجيد التأويل والاعتذار[1]: ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم »

وللبيت حكاية رواها الأستاذ في الصفحة (٢٠) من (الكتاب) ومما أورده له في هذا الباب :

إذا مت فابكيني بما أنا أهله فكل جميل قلتِ فيّ يُصدَّق

وكم قائل مات الفرزدق والندى وقائلة مات الندى والفرزدق

* * *

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا (يا جرير) المجامع

وكنا إذا الجبار صعر خده ضربناه حتى تستقيم الأخادع[2]

ورواية (المجامع) هي التي في الديوان وفي كتب اللغة والأدب ، وذكر الزمخشري (الجوامع) في البيت ، قال في الأساس : «وجمعتهم جامعة أي أمر من الأمور التي يجتمع لها ، قال الفرزدق : أولئك آبائي ... »

وأورد الأستاذ قول الفرزدق :

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا

وروى عن أبي الفرج قصة تخبر بانتحاله البيت، وهو في شعر جميل ، والظن أن شيطان الفرزدق الذي أوحى إليه (العانيه) أعطاه إياه . وفي هذه (العبقرية) يقول ابن غالب :

وما حل من جهل حُبا حلمائنا ولا قائل بالعرف فينا يعنف[1]

وما قام منا قائم في ندينا فينطق إلا بالتي هي أعرف

وإنا لمن قوم بهم تتقى المدى

ورأب الثأى والجانب المتخوف[2]

لنا العزة الغلباء والعدد الذي عليه إذا عد الحصى يتخلف[3]

ولا عزّ إلا عزنا قاهر له

ويسألنا النصف الذليلُ فينصف[4]

ومنا الذي لا ينطق الناس عنده

ولكن هو المستأذن المتنصّف[5]

تراهم قعودا حوله وعيونهم مكسرة أبصارها ما تصرّف

وبنيان بيت الله نحن ولاته وبيت بأعلى إيلياء مشرف[6]

لنا حيث آفاق البرية تلتقي

عميد الحصى والقسوريّ المخندف[7]

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا

وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا[8]

---

(١) كل قول بين الأهلة غير معزو إلى صاحبه ، هو من كلام الأستاذ المردمي .

(٢) الأخدعان عرقان في الرقبة ، ولي الأخادع مثل تصغير الخد ، قال الأساس : لوى فلان أخدعه أعرض وتكبر ، وسوى أخدعه ترك الكبر . وقد نسب الزمخشري البيت إلى جرير خطأ

٢٠ ٥ ١٣

(١) الحبا جمع الحبوة والحاء فيهما تضم وتكسر قال اللسان : « ويروى بيت الفرزدق بالوجهين » والاحتباء مسروف . وفي النهاية : الاحتباء حبطان العرب ، أي ليس في البراري حبطان فاذا أرادوا أن يستندوا احتبوا . والاحتباء كناية عن الحلم ونقضه كناية عن الطيش

(٢) في (الخصائص) : أراد وبهم رأب الثأى ، حذف حرف الجر لدلالة ما قبله عليه مع مخالفته له في الحكم

(٣) في طبعة (الصاوي) : « الغلباء الغليظة العنق » . . . والعزة الغلباء هي الوثيقة القوية ، وفي الأساس : ومن المجاز : عزة غلباء ، وفي اللسان : حديقة غلباء أي عظيمة متكاثفة وهضبة غلباء عظيمة مشرفة وعزة غلباء كذلك على المثل

(٤) النصف : بالكسر ويثلث : الاسم من الانصاف (التاج)

(٥) تنصف خدم وتنصفه استخدمه : لازم متعد (التاج)

(٦) في (النهاية في غريب الحديث والأثر) : « إن ابن عمر أهل بحجة من إيلياء : اسم مدينة بيت المقدس » وولاتها اليوم أبناء الصليبيين يظاهرهم اليهود :

قضاء من الله العزيز أراده ألا ربما كانت إرادته شرا !

و « لله الأمر من قبل ومن بعد »

(٧) وفي رواية : عديد الحصى والحصى العدد الكثير . (المخندف) المنتسب إلى خندف في (اللسان : خندف امرأة الياس بن مضر غلبت على نسب أولادها منه ، وسميت بها القبيلة . وفي تاريخ الطبري : في كتاب هشام إلى يوسف بن عمر : ولكنك تفيست على وأنا متخندف عليك

(٨). قال صاحب (ديوان المعاني) رواه لنا أبو علي بن أبي حفص : أربأنا قال : والارباء الاشارة إلى خلف والايماء إلى قدام

وهذا البيت يبدو فى أبيات الفرزدق أخاً حتماً[1] لها وهو فى أبيات جميل كأنه ابن عم كلالة . وروايته فى شعر صاحب بثينة هى :

نسير أمام الناس والناس خلفنا
فإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا

وإنه توارد الخواطر غير المستنكر ، وإن كان قول الأخطل « نحن معاشر الشعراء أسرق من الصاغة ... » لا ينكر

ومما يُروى أنكوهة من الأفاكيه ، وأضحوكة من الأضاحيك قول أبى هلال العسكرى فى كتابه (ديوان المعانى) وهو هذا : «وعند الناس قصيدة جميل أحسن وأسلس من قصيدة الفرزدق»

وأنا أستعجب من أبى زيد محمد القرشى كيف لم يثبت فائية جميل مكان فائية الفرزدق فى أول (الملحات) فى كتابه (جمهرة أشعار العرب)

الحقُّ أن الأدباء قد يلفتون كلامهم[2] وقد يهرئون بل قد يكفرون فى الأحايين ، وما قول العسكرى هذا إلا من الكفر ، والمختار من فائية جميل بثينة هو فى الجزء الثامن من الأغانى ، فليراجعه من شاء من الفضلاء ليرى كيف يجور الحكم !

إن قصيدة جميل أحسن من قصيدة الفرزدق وأعظم منها وأفخم عند النسناس[3] لا عند الناس ...

ومن تخليط العسكرى ما قاله فى (كتاب الصناعتين) وقوله هو : « كان البحترى يفضل الفرزدق على جرير ، ويزعم أنه يتصرف من المعانى فيما لا يتصرف فيه جرير ويورد منه فى شعره فى كل قصيدة خلاف ما يورده فى الأخرى ، وجرير يكرر فى هجاء الفرزدق الزبير وجعْثن والنوار وأنه قين لا يذكر شيئاً غير هذا . وسئل بعضهم عن أبى نواس ومسلم فذكر (أن أبا نواس أشعر لتصرفه فى أشياء من وجوه الشعر وكثرة مذاهبه فيه ، ومسلم جار على وتيرة واحدة لا يتغير عنها) وأبلغ من هذه المنزلة أن يكون فى قوة صائغ الكلام أن يأتى مرة بالجزل ، وأخرى بالسهل ، فيلين إذا شاء ، ويشتد إذا أراد . ومن هذا الوجه فضلوا جريراً على الفرزدق ، قال جرير :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... وقت الزيارة فارجعى بسلام
تجرى السواك على أغر كأنه ... بَرَدٌ تحدر من متون غمام

فانظر إلى رقة هذا الكلام ، وقال أيضاً :

وابن اللبون إذا ما لُزَّ فى قرَن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

فانظر إلى صلابة هذا الكلام !

ومحوى هذا الكلام أن ليس للتصرف فى القول والتفنن فيه والإبداع قدر ، وأن الشأن كله فى أن يلين القائل ويشتد أى أن ينسلخ المبقرى من طبيعته التى فطره الله عليها ويتكلف الشدة أو اللين

وقد روى ابن رشيق فى (العمدة[1]) قول البحترى الذى تهاون العسكرى بجلالة خطره ثم قال : « فإذا كان هذا فقد حكم له (أى للفرزدق) بالتصرف ، وبهذا أقول أنا وإياه أعتقد فيهما (أى فى الفرزدق وجرير) وإذا لم يكن شعر الشاعر نمطاً واحداً لم يمله السامع

وقول أبى هلال فى لين القائل واشتداده أو فى تليين الكلام وتصليبه ذكرنا بخطب فى كتاب لا أسميه الآن كان صائغها يكد روحه وهو يصوغ كداً ، ويزفر زفيراً ، ويزحر زحير المرأة عند الولادة ، ويدور ويجول ويقوم ويقعد ... لكى تحاكى تلك الخطب المصوغة أقاويل الأولين السابقين فتجوز نسبتها إلى من عزيت إليه ، وهيهات هيهات أن تجوز ؛ إن تكلفها ، إن تعملها ، إن تصلبها ، إن زخرفتها ، إن فقدان الطبيعية فيها — فإن كل ذلك ليصيح : قد صاغها صوّاغ ...

* * *

هجا الفرزدق :

إنى كذاك إذا هجوت قبيلة ... جدّعتهم بصوارم الأمثال[2]

---

(١) هذا أخ حتم كقولك : ابن عم لح (الأساس)

(٢) يلفت الكلام : يرسله على عواهنه لا يبالى كيف جاء

(٣) فى اللسان : النسناس خلق على صورة بنى آدم أشبهوهم فى شىء وخالفوهم فى شىء وليسوا من بنى آدم . وفى الحديث عن أبى هريرة : ذهب الناس وبقى النسناس ، قيل : من النسناس ؟ قال : الذين يتشبهون بالناس وليسوا من الناس . وروى الميدانى فى مجمع الأمثال هذا الحديث الهريرى فى أمثال المولدين

(١) قال ابن خلدون فى المقدمة فى كتاب (العمدة فى صناعة الشعر ونقده) : « وربما قالوا إن من بواعثه (أى بواعث الشعر) الشوق والانتشاء . ذكر ذلك ابن رشيق فى كتاب العمدة وهو الكتاب الذى انفرد بهذه الصناعة وإعطاء حقها ، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله »

(٢) فى طبعة الصاوى : « جدعتهم قطعت آذانهم ... » وجدعهم هنا لقام شرا وسخرية كأنه جدع آذانهم كما فى الأساس واللسان

وكنت إذا عاديت قوماً حملتهم على الجمر حتى يحسم الداء حاسمه

« والفرزدق فى هجائه واسع الفطن فسيح المدى كثير الفنون لا يقف عند حد فى مناضلة خصمه ، يذكر المخازى ويصرح بالمثالب ، ويفحش ويتهكم ويختلق ويذكر الدورات ، ويخصب خياله فيحكم التشبيه ويجيد الاستعارة ويمرض على الأنظار صوراً شتى تمثل خساسة المهجو فى نفسه وأهله وعشيرته من غير أن يزعه دين أو يردعه حياء .

وبراعة الفرزدق فى هذا الباب وإحسانه - إن صح أن يسمى إحسانا — ومقدرته مجموعة فى النقائض »

وقد اقتضى البحث أن يروى (الكتاب) شيئاً من هجاء الخبيث فأورد طائفة ، منها هذه المقطوعة :

ولو تُرمى بلؤم بنى كليب نجوم الليل ما وضحت لسار
ولو يُرمى بلؤمهم نهار لدنس لؤمهم وضح النهار
وما يغدو عزير بنى كليب ليطلب حاجة إلا بجار

ومن هجائه المشهور قوله فى خالد بن عبد الله القسرى حين ولى العراق ، أورده (الكتاب) فى سيرة الشاعر :

ألا قطع الرحمن ظهر مطية أتتنا تخطى من دمشق بخالد
وكيف يؤم المسلمين وأمه تدين بأن الله ليس بواحد[1]
أبلغ أمير المؤمنين رسالة فعجل هداك الله نزعك خالدا[2]
بنى بيعة فيها الصليب لأمه
وهدم من بعض الصلاة المساجدا[3]

قال الكامل : « كانت (أم خالد) نصرانية رومية . ويروى عنه فيما رُوى من عتوه أنه استعفى عن بيعة بناها لأمه ، فقال الملأ من المسلمين : قبح الله دينهم إن كان شراً من دينكم ... ! وكان سبب هدم خالد منار المساجد حتى حطها عن دور الناس أنه بلغه شعر لرجل من الموالى موالى الأنصار ، وهو :

ليتنى فى المؤذنين حياتى إنهم يبصرون من فى السطوح
فيشيرون أو تشير إليهم بالهوى كل ذات دل مليح

(١) وبعده :
بنى بيعة فيها النصارى لأمه ويهدم من كفر منار المساجد
(٢) فى البيت خرم وهو كثير فى شعرهم
(٣) البيعة — بكسر الباء — متعبد النصارى ، والجمع بيع كعنب قال :
تامت فؤادى بذات الجزع (آنسة) صرت تريد بذات السنبة البيعا
وقد ضبطت البيعة بالفتح فى ثلاثة مواطن فى رغبة الآمل (الجزء ٨ ، الصفحة ٢٣٠) وكتب اللغة كلها قالت بالكسر

وفى رسالة هشام[1] إلى خالد يوبخه : « فيها زوال نعمه عنك وحلول نقمه بك فيما ضيعت وارتكبت بالعراق من استعانتك بالمجوس والنصارى وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة خراجهم وتسلطهم عليهم ؛ تزع بك إلى ذلك عرق سوء من التى قامت عنك »

ويروى أن خالدا[2] بنى البيعة فى ظهر قبلة المسجد الجامع بالكوفة ، وكان يضرب لها الناقوس إذا أذن المؤذن ...

(يتبع — الأسكندرية) ***

***

أورت (الخطفى) - فى القسم الثانى - مشدد الياء ، وهو مثل الجزى كما ضبط ابن خلكان وكتب اللغة . وهناك (اجتزأ به) وهو : اجتزاء به . و (مجاله فى الشعر) وهو ومحله . و (لطبع جريرا شبه) وهو : بطبع جرير و (فان اصبر قول الطهوى) وهو : فان احبر

(١) رسالة بليغة مهمة ذكرها الكامل بتمامها
(٢) كان خالد من العظماء المشهورين فى الدولة المروانية . وقد ذكر أبو الفرج الأصبهانى أن خالداً كان من ولد شق الكاهن ، ونقل قوله صاحب (الوفيات) غير منكر ولا مغلط بل قال : « كان شق ابن خالة سطيح وكانا من أعاجيب الدنيا ، أما سطيح فكان جسداً ماشياً لا جوارح له وكان وجهه فى صدره ولم يكن له رأس ولا عنق ولا يقدر على الجلوس إلا أنه إذا غضب انتفخ فجلس ... وكان شق نصف إنسان ، ولذلك قيل له : شق ، أى شق إنسان فكانت له يد واحدة ورجل واحدة ... » وفى الجزء (٢٤٩) من (الرسالة الغراء) القول الفصل فى أسطورة شق وسطيح التى قبلها الرواة والأدباء والمؤرخون كافة

علاج حديث مبتكر ولكنه قديم

منذ ألوف السنين عرف أسلافنا الأقدمون واعترفوا بالفوائد الطبيعية الجمة الفعالة التى تقدمها لنا الطبيعة فى الثوم . فهو ينشط القلب ويقويه وينظم عمل الشرايين ويطهر الدم وينظم الدورة الدموية وبكلمة مختصرة يفيد الثوم جميع أعضاء الجسم بما فيها التناسلية

ومنذ ٢٥٠٠ سنة ذكر هيرودوتس المؤرخ اليونانى الشهير فى كتبه التاريخية ان الثوم كان النبات المحبوب عند قدماء المصريين لفعله المنشط والقوى وورث الفرعون اليوم عن سلفه هذه العقيدة الحقة لما يبرهن له فعل الثوم فى قوى جسمه عامة وأعضائه الجنسية خاصة حتى اقترن اسم الثوم بحيوية الرجل فاسموه « جاينتاليا »

وبعد هذا أصبح فرض محتم على كل رجل وامرأة بعد سن الأربعين أو الثلاثين أن يأخذ روح الثوم لشهرين على الأقل فى أول فصل الشتاء وفصل الصيف من كل سنة ويجعلها عادة مقدسة لمصلحته الخاصة . ولكن عوضا من أن تأخذ الثوم نفسه فتأنف من طعمه ورائحته لديك الآن بفضل العلم حبوب اكس آى الصغيرة التى هى روح الثوم وخلاصته الكاملة ولكن بلا رائحة ولا طعم — سهلة التعاطى والتمثيل وثمنها زهيد فهى فى متناول الجميع

جميع المجالس الطبية فى العالم تصف حبوب اكس آى بالاجماع وطبيك الخاص لا يستطيع نكران الحقيقة فى حبوب اكس آى وفائدته للجسم وأعضاء التناسل خاصة .